الإعجاز القرآني ومراحل تطوره عند العرب

المدرس الدكتور
قصي إبراهيم نعمة

المدرس الدكتور
أحمد حيال جهاد

جامعة ذي قار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الإعجاز القرآني ومراحل تطوره عند العرب

المدرس الدكتور
قصي إبراهيم نعمة

المدرس الدكتور
احمد حيال جهاد

جامعة ذي قار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المدخل:

الإعجاز القرآني النشأة و البداية

ترك القرآن الكريم أثراً كبيراً بالغاً في العقل العربي حين استماعه إياه في المرة الأولى، وهو يتلى عليه، فأخذت الآيات بمجامع قلوبهم وخلطت عليهم رأيهم ولأنهم أصحاب منطق ولسان، كان القرآن من جنس منطقهم، عربي بلغ المدى في انسجام التأليف وجدة المعاني، فلا يلقاهم منه إلا كلام قد عرفوه وتراكيب ألّفوها وتكلموا بها، حتى توهموا أنهم سيستطيعون ان يأتوا بمثلها، وهذا ما كشفه القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾[١]، إلا أنهم وقفوا حيارى أمام هذا النظم الذي لم ينكروا منه كلمة واحدة، وقد عرفوا أساليبه من قبل، فلم تعوزهم مفردات الألفاظ إن أرادوا معارضة القرآن، لأن القرآن لم يأت إلاّ بألفاظهم التي تدور في بيئتهم، ولكن كانت تعوزهم الأفكار الخصبة الثرية، إذ ان الجزيرة العربية كانت من اشد أجزاء الأرض تخلفا آنذاك من الناحية الفكرية والحضارية، لذا اتهموا الرسول ﷺ بالسحر والجنون حين جاءهم بمنظومة تحمل أبعادا فكرية متكاملة، قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[٢]، و أنهم اتهموه بأنه شاعر، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[٣]، وقالوا إنه مجنون ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي

نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(٤)، وقد أجاب القرآن الكريم على كل الاتهامات التي وجهها المشركون إلى النبي ﷺ مؤكدا ان مصدر ما انزل على الرسول ﷺ هو الله سبحانه وتعالى، وانه الحق، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٥) وان كلامه هو قول رسول كريم ونزل من رب العالمين ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦)، ثم بدأ القرآن بمرحلة أخرى وهي ليس الدفاع فقط عن الرسول ﷺ والكلام المنزل عليه، بل بدأت مرحلة التحدي لهؤلاء من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(٧)، قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٨)، وقد عجز المشركون عن الرد على هذا القرآن المنزل حتى اثر فيهم تأثيرا كبيرا، وأحسوا بروعته فأخذهم العجب، لكنهم لكثرة غرورهم، وخوفهم على مصالحهم وحرصهم على عصبياتهم نكلوا وتولوا مدبرين معاندين بعد إعلانهم إنهم عاجزون عن مجارات هذا النظم العجيب أو معارضته.

إن استماع المشركين للقرآن انطق فيهم الإحساس بالروعة والجمال بعد ان أحسوا حلاوته وإعجازه وغرابة نظمه، وكان هذا الإحساس يتمكن عميقا في قلوبهم ووجدانهم وأذهانهم، فكانوا يعبرون بين الفينة والأخرى عن هذا الإحساس العميق بكلمات تفصح عن تأثّر وانفعال بالغين، تجسد ذلك في قصة إسلام عمر بن الخطاب، وجبير بن مطعم، والوليد بن المغيرة الذي كان من المشاهير العرب في البلاغة، فحين جاءه أبو جهل يبعده عن الإيمان بالرسالة السماوية التي نزلت على الرسول ﷺ ردّ عليه قائلا: والله ان لقوله

لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر، ولأنه ليعلو ولا يعلى عليه، سمعت قولا يأخذ القلوب[٩].

فالعرب تأثروا بالقرآن وأدركوا إعجازه إدراكا فطريا في ذلك العصر لأنه نزل بذوق سليم وفصاحة بيان، وهذه المرحلة تعد الأولى لنشأة الإعجاز.

إلا انه بعد ان توسعت الدولة الإسلامية وازدادت رقعتها وكثر الداخلون فيها وحل الاختلاط بين العرب والمسلمين والأجناس الأخرى،احتاج المسلمون إلى شيء من التسجيل والتوضيح، وتبيان أسرار القرآن الكريم هو ما لا يدرك إلا بالتذوق الفني المبني على الأسس العلمية بعد أن كان يدرك فطرة، فاقتصر إدراكه في هذه المرحلة على جماعة مخصوصة امتلكت وسائل ذلك التذوق التي لم تكن على مستوى واحد لدى الجميع، وإنما تتباين بتباين الخلفيات الثقافية، ومدى تأثيرها بالثقافات والفلسفة الواردة إلى المجتمع العربي الإسلامي. ولهذا نجد انعكاس تلك العلوم المختلفة في تلك الدراسات القرآنية، فضلا عن تأثيرها بالاتجاهات العقيدية التي كانت يعتقدها صاحب الدراسة. وكان هذا في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث، فتطور معنى لفظة الإعجاز، إذ أصبح مفردة علمية تشير إلى هذه الظاهرة دينيا على أنها معجزة من الله، وهي الدلالة على صدق نبوة النبي محمد ﷺ والبرهان على ان القرآن الكريم تنزيل من الله، من حيث إن البشر بالفعل غير قادرين أبدا على معارضته عاجزون عن أن يأتوا بمثله أو بسورة واحدة من مثله[١٠].

فصارت مسألة الإعجاز من ابرز المسائل التي تناولها العلماء بالبحث واحتلت مكانة كبيرة من الدراسات القرآنية التي بدأت طلائعها في تلك المدة، فاتجه الكلام في مسألة الإعجاز اتجاها علميا منظما، وظهرت أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز صادرة عن أحرار الفكر والمعتزلة والمتكلمين، وكثر

الكلام في الدين والنبوة، وبُحث في الإعجاز على انه فرع لهما،وكل هذا نشأ في ذلك العهد لوجود الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية، ولاسيما اليونانية منها، كما كان عهد حرية الفكر واختلاط أصحاب الأديان المختلفة بعضهم ببعض، فأدى تلاقح هذه الثقافات وتصادم هذه الديانات إلى تطور في الأفكار ونهضة علمية في اللغة والنحو والبيان والكلام والأصول، فأسهموا إسهاما فعالا في بناء ركائز مهمة في الإعجاز لما في ذلك البناء من لمحات مفيدة و شذرات مهمة في إرساء قواعد هذا العلم وتشييد بنيانه[١١]، ومن اجل الوقوف على حركة الإعجاز القرآني تاريخيا بشكل أدق ارتأى البحث ان يقسم تلك الحركة الإعجازية إلى ثلاثة ادوار، **دور الإشارات، ودور الرسائل، ودور الكتب.**

أولاً: دور الإشارات.

وتمثل هذا الدور في الكتب التي ألفت في نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث، وتحدثت عن معاني القرآن منها: معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ)، فكانت في هذين الكتابين اشارا ت ولمحات لم تذكر فيها كلمة الإعجاز، بل ان ظهور هذه الكلمة ودراسة القضايا الإعجازية جاء في المؤلفات التي أتت بعد هذين المؤلفين.

وقد ذكر الباحثون ان سبب تأليف الفراء لمعاني القرآن هو (ان عمر بن بكير كان من أصحابه وكان مع الحسن بن سهل، فكتب إليه ان الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن، لا يحضرني جواب عنها، فإن رأيت ان تجمع لي أصولا، أو تجعل في ذلك كتابا ارجع إليه فعلت، فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن، وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه - وكان من القراء- فقال له: اقرأ، فبدأ بفاتحة الكتاب ففسرها، ثم مر في الكتاب كله على ذلك

يقرأ الرجل ويفسر الفراء)[١٢]، أي انه شرح ما في آيات القرآن من الغريب متناولها بحسب ترتيبها في المصحف شارحا إياها شرحاً لغوياً ونحوياً مبيناً أوجه القراءات المختلفة للآية ووجوه إعرابها، ثم يرجح ما يراه مناسباً.

ويعد الفراء أول من تنبه إلى الجرس الموسيقي في رؤوس الآيات القرآنية، وموسيقى الألفاظ في نظم القرآن، واثر ذلك في نفوس العرب، إنه يثير بألفاظه ومعانيه وجدانهم ويروع نفوسهم ويبهر أنظارهم، وهذا هو سر من أسرار الإعجاز القرآني. فضلا عن ذلك انه كان سباقا في الإشارة إلى كثير من المسائل البلاغية وما تحمله من أسرار، وكشف هذه الأسرار في النص القرآني هو إماطة اللثام عن إعجازه[١٣]، لأنه عني بتفسير الغريب وما أشكل فيه، وتوضيح معانيه شافعا ذلك بالشواهد الشعرية واستعمالات العربية، واهتمامه ببيان أسرار بعض التراكيب، وقد طرق أبوابا بلاغية كثيرة منها الحذف، والزيادة، والاستفهام وخروجه عن أصل وضعه، كما تطرق إلى بيان بعض المحسنات البديعي[١٤]، وبهذا يكون له الأثر الواضح في نشأة البلاغة وتطورها.

ومن اجل الوصول إلى المعنى المقصود الذي تتضمنه الآية الكريمة في مقام بيان المعنى البلاغي لبعض الآيات التي يفسرها ويوضح المراد منها والوقوف على أسرارها اتبع الفراء منهجا في تفسيره للنص القرآني، وهو تفسير القرآن بالقرآن[١٥] من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[١٦]، قال الفراء: ((فيقول القائل: إنما الرسل من الإنس خاصة، فكيف قال الجن والإنس (منكم)؟ قيل: هذا كقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[١٧]، ثم قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[١٨]، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب))، وبهذا كان بحث الفراء ((ذا منهج تطبيقي يأخذ بزمام الصوت واللفظة المفردة ودلالة التركيب في دراسة النص القرآني الكريم مفيدا

من شواهده الشعرية وسلوك بعض القراء في طريق التجويد القرآني بما يعزز إفهام الخاصة والعامة لكتاب الله العزيز، ولعله يكون بهذا رائد الدراسة التطبيقية في القرآن الكريم))(١٩).

ويمكن القول أن الدراسة القرآنية انطلقت في القرن الثاني الهجري متمثله بمجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، فكانت دراسة لغوية تتعلق بالألفاظ والمعاني وأثرها في النفس، وقد عدها الباحثون لمحات كمن فيها الإعجاز القرآني، وشكلت قاعدة مهمة بنى عليها باحثو الإعجاز والبلاغة العربية أساسهما، ولهذا عد هذان الكتابان أساسا مهما ونواة طيبة أثْرت فيما بعد دراسات مفصلة واسعة بلغت ذروة نضجها وتكاملها في القرون التي لحقت(٢٠).

و يذكر ان سبب إقدام أبو عبيدة على تأليفه كتاب مجاز القرآن، ان الوزير الفضل بن الربيع دعا أبا عبيدة إلى مجلسه في بغداد، فسأله احد جلساء الوزير وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾(٢١)، قائلا لأبي عبيدة: إنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، متوهما السائل - عن قصد أو غير قصد - ان الله سبحانه وتعالى قد أوعد بما لم يعرف علما،اعتبار ان الشياطين لا يرون بالعين الباصرة، فأجابه أبو عبيدة بان الله سبحانه وتعالى إنما كلم العرب على قدر كلامهم، فلم يأت بما لم يألفوه واستشهد له ببيت امرئ القيس(٢٢):

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوال

فقارن له أبو عبيدة بين رؤوس الشياطين والغول، لان العرب لم يروا الغول ولكن كان أمره يهولهم(٢٣)، وهذه الإشارات عدت من بدايات البحث عن سر المعاني التي جاء بها القرآن الكريم، لأنها شكلت ((رؤية اعتمدت

على الكشف عن خصوصية النص القرآني الفنية والجمالية، وقد وجهت طريقة تحليل هذا التركيب المقدس بالإضافة إلى استغلاق هذا النص على أفهام الكثير من الناس ولاسيما الأعاجم منهم))[٢٤]، فاتبع أبو عبيدة طريقة معينة وهي شرح الآية ثم يأتي بشاهد في معناها وطريقة استعمالها من كلام العرب الفصيح ومن الشعر العربي،محاولا ان يبين الصلة بين أسلوب القرآن الكريم وفنون التعبير فيه وبين فنون العرب وأساليبهم، وبهذا يكون قد وعى ان في التعبير القرآني شيئا آخر يحتاج إلى إظهار معناه وتوضيحه، وهذا شيء مهم في بيان سر التركيب القرآني، وقد دفع باتجاه تطور الدراسات القرآنية فيما بعد، ((لأنه اوجد أوضاعا جديدة تستدعي معالجة خاصة تعتمد على الكشف عن جماليات النص ذات الإيحاءات المتعددة))[٢٥].

إن كتاب (مجاز القرآن) يعد العتبة الأولى لدراسة الإعجاز القرآني فيما بعد، لأنه حاول ان يكشف عن سر استعمال القرآن لهذه اللفظة دون غيرها وهذا التركيب عن سواه، لهذا عد الأساس الذي انطلق منه باحثو الإعجاز للكشف عن ماهية التعبير القرآني.

أما الكتاب الثاني فهو معاني القرآن للفراء، وقد سماه بهذه التسمية لان لفظة (المعاني) مستمدة من دلالتها ((بوصفها مفهوما مفردا له علاقة وثيقة بالألفاظ، وقد تعامل معها النقاد والبلاغيون على هذا الأساس، فكانت لفظة المعاني تتردد على ألسنتهم، وفي كتبهم بما تعنيه من مفهوم))[٢٦].

ثانياً: دور الرسائل.

وتمثل هذا الدور في رسالتي كل من الرماني في ((النكت في إعجاز القرآن))، والخطابي في ((بيان إعجاز القرآن)).

١- النكت في إعجاز القرآن.

حاول الرماني ان يحدد مفهوم الإعجاز القرآني في رسالته التي عدها أكثر الدارسين رسالة بلاغية أدبية التقط فيها المواضع التي تجلت فيها بلاغة العبارة أو الجملة القرآنية ((فادخل البيان في حومة الإعجاز البلاغي بعد ان كان يشار إلى علاقتهما - البيان والبلاغي - إشارات مقتضبة لا تكفي لتكوّن فهما واضحاً))[٢٧]، وقد حدد وجوه الإعجاز القرآني التي رآها واضحة في سبع جهات، وهي ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

إلا انه لم يشبع هذه الوجوه درسا وإنما افاض في جانب الوجه البلاغي، ويبدو ان عدم إفاضته في تلك الوجوه لعدم إيمانه بها،وما إيراده لها إلا ليجمع وجوه الإعجاز التي تحدث عنها العلماء السابقون و كانت منبثة في الكتب، غير أنه آمن بالإعجاز البلاغي فقدمه على بقية الوجوه الأخرى.

وهناك من يرى أنّ ما فعله الرماني وهو تأكيده الناحية البلاغية في تقرير الإعجاز القرآني، لان الإعجاز البلاغي هو الوجه الذي يكاد يتفق عليه العلماء السابقون بعد السجالات المحتدمة التي وقعت بينهم فتابعهم في ذلك لما يحققه هذا الوجه من استقرار فكرة الإعجاز القرآني من دون التخبط والتعارض مع بقية الوجوه، فينفتح عليهم باب النقد ونسبة النقص لعدم تحققها في القرآن كله[٢٨]، وهذا فيه نظر، لان الرماني حين ركز على الإعجاز القرآني بلاغيا أثبت نظرة متقدمة في البلاغة عامة والبلاغة القرآنية خاصة، فعد وضع الإعجاز البلاغي في المرتبة العليا من البلاغة ووصف بلاغة القرآن في هذه الدرجة من أنها بلاغة معجزة، إذ وصلت إلى أعلى مرتبة أو أقصى ما يمكن ان يصل إليه التعبير باللسان العربي، وبهذا تكون البلاغة البشرية، وهي بلاغة الشعر،ممكنة مهما بلغت من درجات الرقي إلا أن بلاغة التعبير القرآني

تبقى غير ممكنة، أي إنها معجزة لا يقدر عليها أحد[٢٩]، فيقول الرماني ((أما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة، وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس))[٣٠].

إن الرماني بهذا التقسيم البلاغي - إلى طبقات - يعد الرائد الأول الذي ولج إلى الساحة البلاغية حاملا تلك الطبقات عليا ووسطى ودنيا، مستفيدا منها في بحث الإعجاز البلاغي، وقد استقى دارسو الإعجاز ومنهم الخطابي من فكرته هذه.

لقد خطا الرماني خطوات مهمة في البلاغة العربية، فلم يكتف بأن البلاغة هي إفهام للمعنى، ذلك لأنه يرى أنه قد يفهم المعنى متكلمان ولكن ليس بدرجة بلاغية واحدة، فقد يكون احدهما بليغاً والآخر غير ذلك، فضلاً عن انه يرى أن البلاغة ليست تحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يتحقق اللفظ على المعنى وهو عنها مستكره ونافر متكلف، فالبلاغة عنده هي ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))[٣١]، وهنا اقترب من الجاحظ من أجل أن يستثمر ذلك في مجال الإعجاز البلاغي ليحقق معنيين احدهما متعلق بالأثر النفسي للبلاغة وهو إيصال المعنى إلى القلب، والثاني متعلق بالأسلوب، وهو في أحسن صورة من اللفظ، وذلك كله ليجعل المعجز من البلاغة اشد تأثيراً[٣٢].

فالرماني عندما يطرح مفهوم البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، هذا يعني ان الذين اهتموا باللفظ دون المعنى أو بالمعنى دون اللفظ ليكون احدهما وجه إعجاز القرآن أو ليكونا معا، فان فهمهم يحتاج إلى دراسة، لان البلاغة مع اهتمامها باللفظ والمعنى تحتاج إلى

الأساليب الإنسانية حتى تؤثر في نفوس القوم فيصل المعنى إلى قلوبهم، وهذا يوضح الطريق أمام باحثي الإعجاز القرآني، فهم مع تبيانهم صورة اللفظ وقيمة المعنى لا بد من إبراز وجه التأثير في قلوب القوم، وهذه خطوة متقدمة في تعريف البلاغة(٣٣).

إن هذا الفهم الذي تمتع به الرماني جعله ينظر إلى البلاغة على ثلاث طبقات عليا، ووسطى، ودنيا، ويشترط في البلاغة العالية ان تقاس عليها كل بلاغة البلغاء، وهي بلاغة القرآن، وان الجمال البلاغي لا يؤلفه المعنى بمفرده ولا اللفظ بنفسه ولا اجتماعهما، وإنما هناك درجة أخرى هي انتظامهما في أساليب، وقد عد الرماني إيصال المعنى إلى القلب أصلا من أصول ارتباط اللفظ بالمعنى في تبيان الجمال البلاغي، ولهذا كانت فوائد البلاغة تتبيّن في نقل المعاني من إنسان إلى آخر،على أية صورة، بل بصورة متوازية بين اللفظ والمعنى، حاملة إفادة للمستمع والمخاطب مهتمة بهما لا بالمتكلم وحده، وهذا التفات ذكي لاهتمام البلاغة بالمتكلم والمخاطب والسامع، وهي فائدة لم تغفل أي عنصر من عناصر عملية التركيب البلاغي، محادثة أو مشافهة، وهذه فائدة جلّـى ألح عليها النقاد والبلاغيون(٣٤).

فالرماني يمتلك وعيا متكاملا في رؤيته التحليلية،لأنه استطاع ان يكشف عن كثير من الأسرار البلاغية التي شكلت نكتا اعجازية، فضلا عن ذلك يرى ان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم يظهر ظهورا لا لبس فيه عندما ينتظم الكلام فـ((يكون كأقصر سورة وأطول أية ظهر حكم الإعجاز كما وقع التحدي في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾(٣٥)، فبان الإعجاز عند ظهور مقدار السورة من القرآن))(٣٦).

إن الرماني بهذا مثّل الجملة مما يمكن ان يكابر فيه المعاندون، وان كانوا يعرفون أنها مغالطة، والقرآن في موقف إظهار الحجة يحرص على الحسم وأن

يغلق باب المكابرة، والشغب فتحداهم بما لا يمكن ان يغالطوا فيه،وهو السورة التي يظهر فيها الإعجاز ظهورا بيـّنا[٣٧]. وقد لجأ الرماني إلى دراسة مفصلة لأقسام البلاغة خدمة للغرض الذي من اجله جعلها وجها كبيرا لإعجاز القرآن، إذ انه لم يخرج عن موضوع الإعجاز فيما عرض له من أبواب البلاغة، بل كان همه ان يقدم لكل باب شواهده القرآنية وان يلمح بذوق مرهف ما فيها من نكت بلاغية اعجازية، فضلا عن ذلك كانت الإشارة فيها إلى المعاني صريحة جلية، وقد حصر أقسام البلاغة في عشرة أقسام منها: الإيجاز الذي هو تقليل الكلام من غير إخلال، والفواصل التي هي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والتصريف تصريف المعاني المختلفة، وتضمين الكلام وهو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم، أو صفة هي عبارة عنه، والمبالغة التي هي الدلالة على كبر المعنى[٣٨]، ويبدو من هذا أن المعنى هو الذي يقصده البيان واهتم به وعليه مداره، والقصور فيه أو الإخفاق هو تشويه لصورة البيان وإخلال بقيمته.

وقد تطرق إلى هذه الأبواب أو الأقسام التي ذكرها الرماني في رسالته - النكت في إعجاز القرآن - بعض من سبقوه، فلم تكن كلها أقساما جديدة أظهرها الرماني إلى الوجود ماعدا التلاؤم، والتصريف، والتضمين، فهي أبواب جديدة أضافها الرماني إلى بحوث البلاغة القرآنية، إذ إنه وضعها في أبواب مستقلة، وتعد دراستها بعد التحديد الاصطلاحي أمراً جديداً في موضعه[٣٩]، فقد قدم صورة ذكية للموازنة بين كلام الله تعالى وكلام البشر، ولم يضع كلام الله وشرحه، قبالة كلام البشر وشرحه، بل اكتفى بان يرى الفرق بين كلام الله وبين غيره من كلام البشر في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس اشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض، وقد عرض إلى معنى الإعجاز القرآني في أنه

لا يقف عند حد التلاؤم في تركيبه، بل مع ذلك صحة البرهان، أي ان التلاؤم كالصورة أو الإطار، والبرهان كالمضمون، أو المحتوى، وإعجاز القرآن بالتلاؤم وصحة البرهان، كالوحدة بين الإطار والمحتوى، ويذكر ان التحدي في الإعجاز للجميع، لرفع الإشكال والمعارضة لا تكون من أجل الإعجاز بقدر ما يراد إبراز جماليات القرآن الكريم وبلاغته، وهذا يعد التفاتا جديدا في قضية الإعجاز القرآني يدفع قول القائلين بالصرفة(٤٠).

إلا ان الرماني على الرغم مما قدمه من دراسة قيمة حول الإعجاز القرآني لكنه لم يسلم من انتقاد الباحثين المحدثين فمنهم من يرى أنه لم يتوصل إلى تحديد الوجه الذي يكشف عن حقيقة الإعجاز تحديدا دقيقا، بل أنه مسه مسا خفيفا عندما تحدث عن سر الإعجاز في اللفظ القرآني، ومحاولته تفسير الإعجاز بالبلاغة لم تتعد الاستعانة بالمصطلح البلاغي(٤١).

ويرى البحث الضد من ذلك، لان الرماني بحث بلاغة العبارة القرآنية وسر الإعجاز المكنون فيها من خلال إبراز التفاوت بينها وبين عبارة البشر بمقارنة ضمنية في الغالب، وبمقارنة ظاهرية في النادر، وهو بهذا آمن وانطلق من مبدأ عام هو ان ظهور الإعجاز في الوجوه التي بينها يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة(٤٢).

ونستطيع القول ان الرماني لما قدم من أفكار أصبح فيما بعد مرجعا مهما لعلماء البلاغة عامة ولدارسي الإعجاز القرآني خاصة، وهو بهذا الجهد رفد كل من جاء بعده وسار على هذا المضمار.

٢ـ بيان إعجاز القرآن.

بحث الخطابي في رسالته - بيان إعجاز القرآن - الإعجاز القرآني، واتسم بحثه بالعلمية والدقة والتنظيم، فقد وصل إلى ما لم يصل إليه السابقون وهي

حقيقة الإعجاز القرآني.

لقد ارجع الخطابي سبب قصور السابقين في الوصول إلى ماهية الإعجاز إلى ضعف آلتهم الذهنية وتعذر معرفتهم لهذا الإعجاز أو معرفة الأمر في الوقوف على كيفيته، لأنه ليس مما يواجه بالنظر أو يقع في مجاله، وإنما هو مما يستشعر بالقلب استشعارا، ويلمح بالبصيرة لمحا، وهذا هو سبب الخلاف بين الناظرين في إعجاز القرآن،فقد اختلفوا في سلامة الأجهزة التي يتعاطون بها النظر إلى القرآن، فاختلفت معطيات القرآن لهم وبهذا اختلفت مقولاتهم فيه، وهذا ما حدا بالخطيب أن يرى أنّ اصدق نظر ينظر به إلى الإعجاز، من حيث انه أمر لا يخضع لمقياس العلم، وإنما هو مما يستجيب لمناجاة الروح، ولمحات البصيرة(٤٣).

ويرى الخطابي ان الإعجاز واضح ولا يحتاج إلى جدال وسجال، فلا يختلف فيه اثنان فيقول: ((فأما ان يكون قد نقبت في النفوس نقبة بكونه معجزا للخلق ممتنعا عليهم الإتيان بمثله على حال فلا موضع لها، والأمر في ذلك أبين من ان نحتاج إلى ان ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر من لدن نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه))(٤٤).

ومن وجوه الإعجاز القرآني التي عرضها الخطابي هو عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، وقد ذكر وجها آخر من وجوه الإعجاز التي قال بها السابقون وهو الصرفة رافضا له بقوله: ((وذهب قوم إلى ان العلة في إعجازه)) الصرفة ((أي صرف الهمم عن المعارضة وان كان مقدورا عليها معجوز عنها، إلا ان العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات))(٤٥)، وهذا الرفض فيه نوع من الاضطراب وعدم الوضوح، لأنه فيه دلائل تشير إلى قبوله بمبدأ الصرفة، وقد اثبت هذا قوله: ((وهذا وجه قريب إلا ان دلالة الآية تشهد بخلافه وهو قوله

سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(٤٦)، فأشار في ذلك الأمر إلى طريقة التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على ان المراد غيرها، والله اعلم))(٤٧). وبهذا يتضح ان الخطابي كان قريبا من الصرفة لكن المعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة وهي التحدي الذي في الآية، فدل ذلك على ان المقصود بالصرفة صرفة أخرى لم يشر إليها الخطابي، ومعنى هذا ان مبدأ الصرفة مقبول عنده ولكنه بمعنى آخر يختلف عن المعنى المقول به عند السابقين، ولأنه لم يوضح هذا المفهوم المختلف للصرفة عنده، فقد رده احد الباحثين إلى عدم اكتماله في ذهنه وانه لم يتضح تماما في فكره(٤٨).

وقد ناقش الخطابي الوجه الإعجازي الذي قال به السابقون وهو ((الإخبار عن الغيب))، ويبدو أنه لم يرتض هذا الوجه إذ يقول: " وزعمت طائفة أنّ إعجازه إنما فيما تضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾(٤٩)، وكقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(٥٠)، ونحوهما من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوانها، فالخطابي وافق على هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني لأنه أمر جاء من القرآن، إذ يقول: ((ولا يشك في ان هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن))(٥١)، إلاّ انه لم يرض به وجها عاما للإعجاز القرآني لأمرين، مع انه لا ينكره، لأنه لا يشجب أمر الأخبار على جميع سور القرآن الكريم،؛ إذ ان بعض السور لا خبر فيها عن مستقبل ولا ينبئ عن أمر، فضلا عن ذلك انه يوجد في بعض كتب الإخباريين والكهان والقصاص من أمر الأخبار السابقة الشيء الكثير، وهذا لا يعني

توافق القرآن مع كتب غير المسلمين.

ويرى الدكتور محمد بركات ان موقف الخطابي في هذا الوجه من عدم الإنكار كذلك عدم عده وجها كاملا، توطئة لما سيرتضيه من وجهة تنسحب على كل سورة في القرآن وعلى كل آية، بل على كل حرف، وهو ما يسميه باسم الإعجاز البياني، أي ان فهم الخطابي في هذا الوجه يدور في ساحة الآية القرآنية ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥٢]، وهذا يعني عدم عدّ الإخبار عن الغيب وجها كاملا عن تبيان إعجاز القرآن[٥٣].

وقد تطرق الخطابي إلى وجه آخر من وجوه الإعجاز التي قال بها سابقوه وهو الإعجاز البلاغي، إذ إنه يتفق مع ما قاله السابقون في هذا الوجه مبدئيا، إلا انه يُشْكل على من قال بهذا الوجه لعدم معرفتهم بماهية هذا الوجه أو تحليلهم للمسائل البلاغية، فيقول: ((قد جروا في تسليم هذه للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا إنه لا يمكننا تصوره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم مباينة القرآن غيره من الكلام))[٥٤]، أي ان القدماء اعتمدوا على تذوق النص ومدى تأثيره في النفس، وهذا مثّل الحد الذي وصلوا إليه في فهم هذا الوجه فيرى الخطابي ان كثيرا من علماء النظر ذهبوا إلى أنّ وجه الإعجاز - في القرآن - من جهة بلاغته وفي كيفيتها يعرض لهم الأشكال، ويصعب عليهم تفصيلها، وصغوا فيه إلى حكم الذوق(٥٥)، فالخطابي يعزو عدم وصول هؤلاء إلى ماهية الإعجاز البلاغي، إلى أنهم احتكموا إلى الذوق ولم يحتكموا إلى الرأي، وهذا مارده الدكتور عبد الكريم الخطيب، لأنه يرى أنّ الذوق هو الطريق الوحيد للكشف عن بعض أسرار الإعجاز في القرآن، إذ ليس هذا

الإعجاز مما يؤخذ بالمقايسة والنظر بقدر ما يستشف بالشعور والوجدان[٥٦].

وقد أراد الخطابي أن يصل إلى سر الإعجاز البلاغي عن طريق الدراسة والبحث، وحرك توجهه هذا كثير من العلماء الذين نشطوا لهذا الاتجاه، فإنه حاول ان يصل إلى تفسير هذا التوجه من خلال الأدوات اللغوية التي كان يمتلكها فمكنته من قراءة النص قراءة أخرى تختلف عن قراءة العلماء السابقين، لأنه فرّق بين الدقائق اللغوية الموجودة في النص القرآني، ووصل إلى قضية آمن بها، وهي أنّ البلاغة جزء من جماليات النص القرآني، ولا يمكن ان تكون هي الجمالية بعينها، وكشف عن السر البلاغي الذي اعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، أو بسورة من مثله بقوله: ((إنّ علم البشر لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك إفهامها جميع معاني الأشياء المحمولة، ولا تكن معرفتهم لاستيفاء جمع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصل باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى نظما أحسن تأليفا واشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه))[٥٧]. فهو يرى أنّ النص القرآني صار معجزا بهذه الأشياء، فهو النص الوحيد الذي جمعها و افتقدتها بعض النصوص،فضلا عن ذلك أنه قسم الكلام إلى طبقات وكان القسم الأول أعلى الطبقات وارفعه، والقسم الثاني أوسطه واقصره، والقسم الثالث أدناه وأقربه، ويرى الدكتور محمد بركات إنّ هذا التقسيم هو (السلم البلاغي) فيكون في الدرجة العليا بلاغات القرآن، والسر في ذلك ان القرآن يجمع بين الضد وضده ولا يتوافر هذا في كلام البشر، لان علمه لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية[٥٨]. وبهذا فقد خرج عن المألوف

الذي اعتمد على التقليد في الإدراك بل انه غاص إلى باطن العلة، ((فأما من لم يرضِ من المعرفة بظاهر السمعة دون البحث عن باطن العلة، ولم يقنع في الأمر بأوائل البرهان حتى يستشهد لها دلائل الامتحان فإنه يقول: ان الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حسن السامع والهشاشة في القلب، والتأثير في النفوس))[٥٩]، فقد أشار الخطابي بهذا إلى الأثر النفسي الذي قال عنه القدماء إنه لا يُعلَّل، إلا أنّ الخطابي أشار إلى هذا الأثر مع التعليل.

وذكر الخطابي قضايا بلاغية ساعدت في إخراج النص بهذه الكيفية التي اتصف بها من الإعجاز فيقول: ((وإنما يكثر وحشي الغريب في كلام الاوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب الذين يذهبون مذاهب العنجهية ولا يعرفون تقطع الكلام وتنزيله والتخير له، وليس ذلك معدودا في النوع الأفضل من أنواعه، وإنما المختار منه النمط الاقصد الذي جاء به القرآن، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة))[٦٠]، وهذا غير موجود في كلام البشر، صحيح أنّ هذه الأساليب موجودة عند العرب لكنها لا تأتي عندهم منسجمة كما جاءت في القرآن الكريم،وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قصور النفس الإنسانية في إنتاج النص، فضلا عن أن ّهذا التباين بين النصين،النص البشري والنص القرآني، الذي يتسم بالاتساق والالتئام هو دلالة واضحة على إعجازه البلاغي، وأنها بلاغة خاصة اختصّ بها الخطاب الإلهي لأن ((النص النموذجي هو ذلك النص الذي يحقق هذه الصفات، هو النص الذي أحسن اختيار ألفاظه، والذي يعتمد على الاقتصاد في اللفظ والتوسع في الدلالة، وهو نص يجمع إلى ذلك البلاغة والفخامة والعذوبة، وهذه المفاهيم كان النقاد العرب القدماء يدركون جيدا دلالتها، وهي لا تتعلق بالألفاظ، بل أنها قيمة فنية جمالية تلحق النص وليس أي نص، انه النص القرآني))[٦١].

وكشف الخطابي عن جماليات النص القرآني من خلال مناقشة الآراء التي حاولت إضعاف النص القرآني ونظمه المعجز فيقول: ((فان قيل: إنا لا نسلم لكم ما ادعيتموه من ان العبارات الواقعة في القرآن إنما وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها، لوجدنا أشياء منها بخلاف هذا الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها كقوله: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾(٦٢) وإنما يستعمل مثل هذا في فعل السباع خصوصا الافتراس ((افترسه السبع))، هذا هو المختار الفصيح معناها، فأما الأكل فهو عام لا يختص به نوع من الحيوانات دون نوع... إن القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النعت الذي وصفناه صحيح لا ينكره الا جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآية على ما تأولوه ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه: فأما قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ فان الافتراس معناه في فعل السبع القتل حسب، واصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب انه أكله أكلاً واتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم أياهم بأثر باق يشهد بصحة ما ذكروه، فدعوا الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا ان يعبر عنه إلاّ بالأكل، على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره في السباع))(٦٣).

وبهذا فان الخطابي قد حدد إعجاز النص القرآني في وجهه البلاغي في جمال اللفظ والمعنى الأصيل ونظوم التأليف للعبارة، فكلامه عن اللفظ أوصد الأبواب بوجه من أراد ان يزيد على عكس حديثه عن المعنى فانه ردد ما قاله السابقون وتبعه في ذلك المتأخرون، أما نظوم تأليف العبارة فقد ذكر ان رسوم النظم تحتاج إلى حذق ومهارة(٦٤).

وبهذا نستطيع القول إنّ الخطابي خطا خطوات مهمة وأساسية في بحث الإعجاز القرآني على وفق أسس علمية بعد ان كان يخضع لقضايا ذوقية، فلا

نغلو إذا قلنا إنّ رسالة الخطابي تعد من الركائز الأساسية التي انطلق منها باحثو الإعجاز القرآني القدماء والمحدثون و إنّ هاتين الرسالتين النكت للرماني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي كانتا الأساس لما كتب في الإعجاز فيما بعد.

ثالثاً: دور الكتب.

١ـ إعجاز القرآن.

أدّى الأشاعرة دورا مهما في بيان إعجاز القرآن فظل نشاطهم متصلا يحمل آثار المتكلمين، ووجهوا الإعجاز نحو نظرية اهتمت بتفسير الإعجاز القرآني بالبلاغة، من هؤلاء الباقلاني الذي اختلف عمن سبقه في بحثه للإعجاز،إذ إنه لم يتكلم في وجوه الإعجاز الا بعد ان تحدث عن قضايا كلامية كشف فيها عن الراي الأشعري تجاه الآراء الأخرى. ولم يبتعد كثيرا فيها عما قال به السابقون،إلا إنه حصرها في ثلاثة وجوه هي الإخبار عن الغيب، وأمية الرسول ﷺ، والنظم.

الوجه الأول: الإخبار عن الغيب، إذ يرى الباقلاني ان الله سبحانه وتعالى قد اخبر الرسول ﷺبان الدين الإسلامي هو الدين الحق الذي سينتصر على الأديان كلها وهو الغالب قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٦٥] وهذا ما تحقق حصوله بعد حين[٦٦]، ويبدو ان الباقلاني قد اطلع وتأثر بكتب الإعجاز السابقة له ربما الاشعرية واتباعه لهم، لان جل الروايات التي أوردها في كتابه قد قال بها الرماني والخطابي من قبل.

إن نظرة الباقلاني لهذا الوجه لم تكن واضحة كل الوضوح بل يبدو انه اعترف بهذا الوجه لاعتراف الاشاعرة ومحاولتهم بيان تميز القرآن الكريم عن الكتب السماوية الأخرى وتجاوزه حدود الإخبار عن الغيب الوارد فيها إلى

قضايا لا تشتمل عليها تلك الكتب، فضلاً عن ذلك جعل هذا الوجه من وجوه الإعجاز ربما من اجل استدراج أصحاب الديانات الأخرى للاعتراف بهذا الوجه الإعجازي، لأنه وجه يشترك فيه القرآن مع كتبهم، ومن ثم فان الطعن في وجه المعجزة في القرآن يعني الطعن في كتبهم نفسها(٦٧).

الوجه الثاني: أمية الرسول ﷺ. فانه من المعلوم عن حال النبي ﷺ انه كان اميا وانه لم يعرف شيئا عن كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بأخبار ما وقع وما حدث وسيحدث من أخبار وسير عبر الازمان الغابرة إلى بعثته "... وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه، من أخبار عن قصص الأولين، وسير المتقدمين، فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على أخبار، ولم يشتغل بدرس الآثار، وقد حكى في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها﴾(٦٨) وقد شفع ذلك بالشواهد القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٦٩)، وغيرها من الآيات التي تسند هذا الوجه الذي آمن به(٧٠).

الوجه الثالث: النظم.فقد ركز الباقلاني على هذا الوجه تركيزاً خاصاً بحيث ان المطلع على هذا يظن انه الوجه الوحيد الذي آمن به فضلا عن الأشاعرة، ويرى احد الباحثين ان هذا الأمر لا يتعارض مع الاعتراف بالوجهين السابقين، لان الإعجاز في القرآن من وجهة نظر الباقلاني يتحقق بطرائق متعددة من دون ان يكون ذلك مخلا، فيرى انه لا يمتنع ان يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتوافى عليه وتجتمع فيه، وهذا من الجديد في الموضوع إذا ما قورنت باستقلاليّة وجه الإعجاز وتحديده بالبلاغة عند الرماني والخطابي(٧١).

فيقول الباقلاني ((انه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه))(٧٢)، وحاول ان يبين جمال النظم القرآني وأسلوبه وطرق التعبير فيه بإرجاعها إلى عدة وجوه، منها ما يرجع إلى

الجملة، وذلك ان نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من كلام البشر والمعروف من تنظيم خطابهم، وله أسلوب يختص به وينماز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، إذ انه ليس شعرا ولا نثرا، وليس هو بالسجع، أي ان الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظم ترجع إلى الكلام المنظوم المقفى أو المنظوم غير المقفى، فضلا عن ذلك انه لم يعهد للعرب كلام مشتمل على ما في القرآن من فصاحة وبلاغة ومعان في مثل طول القرآن،.فلا يتفاوت في بلاغته بتعدد أغراضه من قصص، ومواعظ، وأحكام، وترغيب، وترهيب، بل على درجة واحدة من البلاغة[٧٣].

ومنها ما يرجع إلى وجوه الكلام التي تنقسم إلى البسط والاقتصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والحقيقة والمجاز، أي ان القرآن اشتمل على كل الأساليب البلاغية التي يبنى عليها الكلام العربي، فضلا عن غزارة المعاني التي يتضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين[٧٤].

ومن بديع نظم القرآن الذي يراه الباقلاني ما يتعلق بالمفردات، فانه استعمل بعض المفردات في دلالات جديدة لم يعهدها العرب من قبل وابتعد عن الألفاظ الثقيلة المستكرهة في السمع، فضلا عن تأثيرها في الأسماع والنفوس وهي في تضاعيف الكلام، فيبرز رونقها بادياً غامراً[٧٥]، ويبدو ان القاسم المشترك لتلك الوجوه هو مخالفة البيان القرآني لكلام البشر، وهي القضية الأساسية التي شغلت الباقلاني، وكانت محاولة منه على طريق التعليل الفني للإعجاز بالنظم، وبعد ذلك بدأ محاولة جديدة لتعليل أسرار سمو النظم القرآني وإعجازه عن طريق البديع[٧٦]، الذي يراه لا يصلح طريقا لمعرفة أسرار النظم القرآني المعجز وإدراكه، إذ يقول: ((وقد قدر مقدرون ان يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه، وليس كذلك عندنا. لان هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها

أمكن التوصل بالتدريب والتعود والتصنع لها، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه صح منه التعمل له وأمكنه نظمه، والوجوه التي تقول: ان إعجاز القرآن يمكن ان يعلم منها، فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتواصل اليه بحال))[٧٧]، وهذا هو الذي جعل الدكتور عشري زايد يقرر ان البديع في حد ذاته عند الباقلاني غير معجز. وإنما الشيء المعجز هو الصورة الباهرة التي جاء بها القرآن واتساق علائقه التركيبية في النظم القرآني اتساقا عجيبا بالضد من النتاج البشري من الشعر أو النثر الذي يحتوي على الأساليب البلاغية الراقية بجانب التعبيرات الساقطة[٧٨].

وبهذا يبدو للبحث ان الباقلاني قال ما ذكره القدماء، وقد زاد في ذلك حين حاول ان يكشف عن أسرار النظم القرآني، إلا انه لم يفلت من الغموض الذي كان يكتنف فكرته.

٢ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل.

لم يؤلف القاضي عبد الجبار كتابا خاصا في إعجاز القرآن بل انه افرد جزءا من كتابه (المغني) تحدث فيه عن الإعجاز القرآني، ومما هو معروف ان للفكر العقيدي حضورا واسعاً في رؤى حامله مما ينعكس على تفكيره في الموضوعات التي يتناولها وهذا ما نجده عند القاضي أثناء تناوله موضوعة الإعجاز التي أخذت تتطور، إذ بدأت تتضح معالمها وتتحدد ماهيتها عند المتكلمين وهذا ما دفع إلى تبلور فكرة النظم عند القاضي عبد جبار وأثمرت عند الجرجاني حين أستند إليها في تأسيسه فلسفته في الإعجاز.

إن تعامل القاضي عبد الجبار مع موضوعة الإعجاز جاء بمستويين، الأول منهما هو رد وجوه الإعجاز التي قال بها السابقون ومنها الصرفة والإخبار عن الغيب، والانفراد بالأسلوب الذي جاء عليه، واستواؤه وسلامته من الاختلاف والتناقض، ويبدو أنه ردّ هذه الوجوه لأنه يراها بأنها ليست مناط

التحدي بالقرآن، بل هي وسائل تثبيت دعائم الإعجاز وترسيخه في النفوس، إلا أنّ هذا الرد لم يرق لأذهان باحثي الإعجاز المحدثين، فيقول الدكتور احمد العمري: ((ان هذه الوجوه التي يردها عبد الجبار، ولا يراها من وجوه الإعجاز هي في رأينا، ورأي علمائنا وجوه بارزة للإعجاز، وان لم يكن منظورا إليها زمن التحدي، لان القرآن العظيم ليس معجزة موقوتة بوقت نزول القرآن ولا محصورة في العرب الجاهلين الذين دعوا إلى هذا التحدي وإنما القرآن معجزة قائمة على الزمن كله، وعلى الناس جميعا على اختلاف عصورهم وأجيالهم المتعاقبة))[٧٩].

أما المستوى الثاني في تعامل القاضي عبد الجبار مع موضوعة الإعجاز هو تحديده وجه الإعجاز القرآني الذي آمن به، إذ يرى أن الإعجاز القرآني يكمن في جزالة اللفظ وحسن المعنى فيقول: ((... ان إعجاز القرآن لا يتم إلا بجزالة لفظه وحسن معناه))[٨٠]، وهذا يدل على ان القرآن قد تحدى العرب في الفصاحة التي جاء بها، وهو لا يعني ان العرب لم تكن لديهم فصاحة قبل نزول القرآن بل أن ((العرب كانت عارفة بما يباين المعتاد من الفصيح للتجربة والعادة، فلم تكن عند سماع القرآن والوقوف على مزيته محتاجة إلى تجربة محددة، وعلمت خروجه عن العادة))[٨١]، فالفصاحة التي نزل بها القرآن الكريم تحوي على ما كان موجوداً أصلاً في كلام العرب وما ألفوه، فضلا عن الجديد الذي أتى به، وهذا ما أعجزهم لأنها خارجة عن قدرتهم، بل ((تحصل من قبل الله تعالى فهي كالقدرة، فكما يصح التفاضل فيها فكذلك في العلوم فلا يمتنع ان يجري تعالى العادة بقدر منها، لا يمكن ان يفعل لأجله، إلا ما يبلغ رتبة معلومة في الفصاحة فيصير الزائد على تلك الرتبة متعذرا بالعادة ويصير معجزا ...))[٨٢] وهذا صعب جدا لا يمكن الإلمام به ((لان الله تعالى لم يقرر في العقول العلوم الضرورية بهذه اللطائف وإنما قرر فيها العلوم

بالجمل ابتداءً أو عند الممارسة))[٨٣]، ولهذا بدأ التفاوت لدى العرب في إمكانية القول بالفصاحة بقدر معرفتهم للعلوم المكتسبة بالضد مما كان موجودا في القرآن الكريم من الفصاحة التي لا تختلف فيه، لان مصدرها واحد هو الله جل علا وهذا ما اعجز العرب عن الإتيان بمثله، وبهذا حدد القاضي عبد الجبار صفة الفصاحة القرآنية بأنها تكون متصرفة إلى عدة وجوه في الكلام فتتفاوت أساليب عرضها تبعا لتحقق غرض الإفهام في المعاني، فبعضها عرفها العرب، وبعضها خرج عن حدود معرفتهم[٨٤].

وبعد ان قرر عبد الجبار حقيقة، وهي أنّ نظم الكلام يقع فيه التفاوت بحسب علم الناس بمواضعات اللغة، يرى ان نظم القرآن جاء على هذا الاتجاه الذي يتفاضل فيه الكلام ويتقدم بعضه على بعض، و حيث انتهت غايات البيان العربي، لم يكن للبلغاء والفصحاء مذهب وراء هذا، اخذ القرآن الكريم راية البيان وسار بها أشواطا بعيدة مما أذهل أربابها وحامليها من قبل وأدخلهم في دائرة العجز عن مثل هذا.

وعلى هذا لا يمكن ان تكون روعة النظم وفصاحته ودقة المعنى وصحته هما الوجهان الممثلان كل ما في المعجزة القرآنية، وان كان هذا القدر منها كافيا في التحدي لأصحاب البلاغة والبيان، معجزا لهم عن مجاراته في هذا الميدان،ولكن ليس كل الناس أو كل من يعرف العربية يكون على قدر من الفصاحة والبلاغة يدرك بها ما في فصاحة القرآن وبلاغته من أسرار مذهلة معجزة، فإذا فاته التعرف على هذا الوجه من إعجاز القرآن وجد وجوها أخرى معجزة، تشير إلى الجهة التي نزل منها هذا الكتاب الكريم، وتحدث عن صدق الرسول ﷺ وتشهد له انه رسول رب العالمين[٨٥].

إن القاضي عبد الجبار في تناوله موضوعة الإعجاز القرآني نأى بنفسه عن مذهبه وما كان يعتقد به من أن القرآن مخلوق محدث وهذا ما تمثل لدى

المعتزلة التي كان ينتسب اليها، بل إنه نظر إلى القرآن بوصفه نظما من الكلام ونهجا من مناهج القول دون ان يجعل في حسابه انه كلام الله أو كلام بشر، ثم وازنه بموازين البيان العربي، فرجح على كل كلام عرفته العرب.

٣ـ دلائل الإعجاز.

يعد عبد القاهر الجرجاني احد العلماء الذين فهموا الإعجاز القرآني فهما خاصا، وقد ابرز وجوه الإعجاز إبرازا دقيقا مستندا في ذلك إلى بلاغته ودقة نظمه، وتآلف كلامه، مما اكسب بحوثه الطابع الأدبي الذي يقوم على المقاربات، والموازنات الأدبية، وإثارة القضايا المنطقية ومناقشتها مناقشة تحليلية استدلالية، وهو بهذا فهم الإعجاز القرآني فهما خاصا، فقد صور الإعجاز تصويرا ينم عن ملكة حساسة، وهذا ما حدا بالباحثين ان يعترفوا بان بحوثه حول الإعجاز القرآني تعد انتقالا كبيرا في التفكير والبحث، وكشفاً دقيقا لأسرار هذا الإعجاز(٨٦).

إن لمعتقد الجرجاني وهو "الأشعري" الأثر الواضح في تحريك فكرة الإعجاز التي أخذت طورا جديدا بتسرب الأفكار الفلسفية والكلامية إلى المجتمع الإسلامي، فالأشاعرة يرون ان لله سبحانه وتعالى كلامين يتعلق بمسألة خلق القرآن وهما،الأول هو الكلام النفسي الذي يقوم بذاته وهو الأزلي القديم الذي لا يتغير بتغير العبارات،وهذا هو المقصود بكلام الله القديم، أما الثاني فهو ان القرآن بمعنى الكلام اللفظي وهو الحادث المخلوق،وتسمية كلام الله نوع من المجاز(٨٧).

إن هذا المعتقد وجّه الجرجاني إلى القول بنظرية النظم التي هي انعكاس لحالتين منصهرتين يمثلهما اللفظ والمعنى القائم في النفس، يترتب عليه ان يكون المستوى المعنوي التصويري الدلالي هو المستوى المحرك للنظم، وتكون الألفاظ والتفكير فيها انطلاقا من حركة هذا المستوى(٨٨). وهذا ما أكده منير سلطان؛

إذ يقول: ((إن جانب المعنى القائم بالنفس نظرية أشعرية كان لها نصيب كبير في نظرية النظم عند الجرجاني بجانب بحوثه في الجمال والتذوق وصلة المنطق باللغة والنحو))[٨٩].

وقد ربط أحمد أبو زيد النظم بالمعتقد الأشعري قائلا: ((لقد كان للخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في مسألة كلام الله وقدم القرآن وحدوثه اثر كبير في تحديد مفهوم (النظم)، فالمعتزلة يقولون: إن الكلام حروف مقطعة وأصوات منظومة، وهو فعل المتكلم، ولما مهدوا هذا الأساس قاسوا عليه كلام الله فأدى بهم هذا القياس إلى الاعتقاد بأنه مخلوق محدث، وهذا الاعتقاد هو الذي حدد وجهة نظرهم في إعجاز القرآن فصاغوا نظرية النظم في صورة متوافقة مع هذا الأصل))[٩٠]، إلا أن الاشاعرة آمنوا بقضية وهي ((ان كلام الله على قسمين: كلام مركب من الحروف والأصوات، مخلوق محدث وهو القرآن، وكلام نفسي لم يزل مع الله تعالى،وهو جوهر واحد لا تركيب فيه، وهذا الكلام هو كلام الله القديم الذي يتصف بالإعجاز، وقد آثر هذا الاعتقاد في نظريتهم إلى إعجاز القرآن، فقالوا ان المزية ليست في الجانب المادي من الكلام، ليست في هذه الحروف المركبة والأصوات المنظومة، ليست في نظم الألفاظ، وإنما في نظم المعاني))[٩١].

وربما لهذا السبب جعل موضوع (النظم) هو المحور الأساس الذي يدور حوله كل موضوع وانه الوجه الوحيد للإعجاز القرآني على حساب الوجوه التي توصل إليها السابقون، فلم يلتفت إليها لأنها قد تبدو في ذهنه متخلفة ((في ناحية من القرآن الكريم، وتصدق في أخرى، على نحو بحث العلماء في الاتجاه الفني في اقتطاع النكت من السياق الذي وردت فيه، ثم جعل الإعجاز في التشبيه المحض أو الانجاز المحض أو غيرهما، لذا نشط الشيخ في ان يقدم رأيا في الإعجاز يتمثل في القرآن كله بحيث يشمل السور الطوال والقصار،

وكان ذلك الرأي في النظم))[٩٢]، إلا انه قال في (النظم) بعد ان أبطل الوجوه الاعجازية التي جاء بها السابقون مثل الإعجاز في الكلم المفرد، فيرى ذلك من المحال، لأن ألفاظ القرآن المفردة هي ألفاظ اللغة، وأن أوصاف تذوقها وأصدائها كانت موجودة قبل القرآن، ومنها ان يكون الإعجاز في معاني الكلم المفردة لأن معاني الحمد، والرب، والعالمين، والملك، واليوم، والدين بقيت على ما هي عليه من الدلالة، أي ان القرآن لم يأت بدلالة جديدة لها، ومنها ان يكون الإعجاز في ترتيب الحركات والسكنات، فيكون التحدي في أنْ يأتوا بكلام تكون كلماته على توالية في زنة كلمات القرآن وهذا لا يجوز، لأنه يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من كلام، ومنها أن يكون الإعجاز بأن يأتوا بكلام فيه مقاطع وفواصل كالذي يأتي في القرآن لأنه ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر، وهذا سهل عليهم غير ممتنع، ومنها ان يكون الإعجاز في التلاؤم وصفاء الحروف مما لم يلتق في حروفه ما يثقل على اللسان[٩٣]، وفي موضع آخر يقول: ((ان الفصاحة لا تظهر في أضداد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة))[٩٤]، وهذا رفض واضح من الجرجاني لمزاعم اللفظيين ويأكد فكرته في النظم[٩٥]، كذلك رفض الجرجاني في أن يكون الإعجاز في الاستعارة، لأن الإعجاز سيكون في آي معدود في مواضع من السور الطوال مخصوصة[٩٦]. ويرى الدكتور احمد مطلوب ان الشيخ الجرجاني نظر إلى علاقة الإعجاز القرآني بالأساليب البيانية في القرآن الكريم، وإنها من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد ولم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو[٩٧]، وبهذا التصور اقترب الدكتور مطلوب مما قاله الدكتور احمد بدوي في أن: ((وجه الإعجاز عند عبد القاهر ببلاغته فحسب، وتكمن هذه البلاغة في نظم القرآن على هذا الأسلوب الذي نزل به لا في ألفاظه منفردة عن هذا النظم الذي جاء به، ولا في ان عبارة القرآن قد صارت على

ضرب من الوزن يعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله[٩٨]، وقد خلص الجرجاني بعد ذلك إلى تحديد وجه الإعجاز عنده وهو النظم، إذ يقول: ((ثبت أنه النظم مكان الإعجاز الذي ينبغي أن يكون فيه، وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف، وكنا قد علمنا ان ليس النظم شيئا غير معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وإنا إن بقينا الدهر نجهد افكانا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها، وجامعا يجمع شملها ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض، غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها، طلبنا ما كل محال دونه))[٩٩]، فيتضح من هذا أن الجرجاني يرى لا مزية أو فضل للفظة المفردة بحالها وانما تكتسب ذلك بانتظامها في سياق معين يربطها بالمفردات الأخرى بوشائج يجعلها منسجمة لتعطي دلالة معينة يستحسنها المتلقي، وبهذا تكون الدلالة وليدة السياق فـ((ربط الالفاظ في سياق يكون وليد الفكر، وان الفكر لا يضع لفظة إزاء أخرى، لأنه يرى في اللفظة نفسها مزية فارقة، وإنما يحكم بوضعها، لأن لها دلالات بحسب السياق، ولهذا كانت المعاني لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف، فلا نظم في الكلم ولا تأليف حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها فوق بعض، وبهذا يكون اللفظ تابعا للمعنى بحسب ما ترتب المعنى في النفس))[١٠٠]، إن قضية الإعجاز القرآني عند الجرجاني وعلاقتها بالنظم تقود إلى مدى ارتباط اللفظ بالمعنى؛ فقد ذهب إلى ما ذهب إليه السابقون من علماء البيان الذين جعلوا الكلام لفظا ومعنى، كما جعلوا الإنسان روحا وجسدا، وهذا هو اثر من آثار التقسيمات المنطقية والمذاهب الكلامية، ولكن الجرجاني ذهب إلى ذلك المذهب من اجل الرد على المذاهب التي اهتمت بالصياغة، وحفلت بالأسلوب، دون إقامة وزن للمعنى، حتى انتهى آخر الأمر بالمزاوجة بين اللفظ فلا يكون هناك لفظ أو معنى، ولكن صورة مخلّقة من لفظ ومعنى[١٠١]، معتمداً على مستويين في تحديد نظرته، هما:

١- **مستوى لغوي عام:** إذ قام تصور الجرجاني للغة على أساس التمييز بين المعاني والألفاظ من خلال العلاقة بينهما في صلة أشارية،أي ان مهمة الألفاظ تعتمد على العلامات التي تدل على المعاني.

٢- **مستوى أدبي فني:** يتحقق بتطابق الدوال الخارجية مع بنية المدلولات النفسية من خلال تفاعل اللفظ والمعنى في سياق يربط بينهما، فالانتقال من الشق اللغوي العام إلى المستوى الفني سيتأسس في بناء جدالي ينبسط في حجج متتالية يتعقب فيها عبد القاهر حجج اللفظيين والمعنويين المغالين(١٠٢).

وقد اعتمد الجرجاني على قاعدة بنية النص التي تتحدد بمنطقة الصياغة المثلة لخلاصة هذا التفاعل للتحرك وبيان النظم من خلالها، والصورة تمثل جزءا من النظم أو مرادفة له، بل ان أساسه هو طبيعة المادة المعنوية والصورة التي تدخل في تركيبها عناصر فنية تنحل بكاملها داخل السياق. وهذا ما عده بعض الباحثين من الإضافات الجديدة التي جاء بها الجرجاني على الرغم من كونها جزئية،لكنه أدرك قيمة الوحدة الفكرية الناظمة لمجموعة صور، ولكنه لم يطبقها في بحثه كلّه، بل اكتفى بتطبيقها على الشواهد الشعرية(١٠٣).

وبهذا يميل البحث إلى ما قاله الحمصي: من أن الجرجاني لم يكن متصلبا في فكرته التي جعل الإعجاز فيها شيئا غير محسوس يقوم على المعاني ويدرك بالذوق، أي ان الجرجاني جاء بمحاولة جديدة مجدية تساعد في تذوق الأدب وفهمه وكتابته ومراعاة الصحة والجمال فيه مستفيدا مما قال به السابقون، إلا انه لم يكن مقلدا أو جامعا لآرائهم بل هو مبتكر نقل نظرية النظم من حيز الألفاظ إلى حيز المعاني(١٠٤).

ويبدو للبحث ان الذي ذُكِر من المؤلفات في الإعجاز القرآني يشمل أهم الأدوار التي مر بها الإعجاز،وقد مثلت هذه المؤلفات نواته، فمن جاء بعدهم

لم يأت بشيء جديد، وإنما ردد ما قاله أسلافه، اللهم إلاّ باحثي الإعجاز المحدثين على الرغم من اجترارهم بعض ما قاله القدماء.

وكان للانفجار المعرفي في عصرهم وما فيه من علوم متلاحقة وتقنيات متقدمة اثر فاعل في ان يمتد مجال النظر في القرآن الكريم حتى اتسعت آفاقه في الفكر العربي، فوجد باحثو الإعجاز المحدثون ما أرادوه على اختلاف مشاربهم وتعدد تخصصاتهم فيظل مشغلة الدارسين جيلا بعد جيل ثم يظل أبدا رحب المدى سخي المورد كلما حسب جيل انه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمع عاليا يفوق طاقة الدارسين(١٠٥)، وهذا ما سنكشف عنه النقاب في موضع آخر من هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

هوامش البحث

(١) الأنفال: ٣١

(٢) يونس: ٢

(٣) الأنبياء: ٥

(٤) الحجر: ٦

(٥) السجدة:٣

(٦) الحاقة ٤٠-٤٣.

(٧) الإسراء: ٨٨

(٨) البقرة:٢٣-٢٤.

(٩) ينظر: تطور دراسات الإعجاز،د. عمر ملا حويش، ٢١٢ وما بعدها

(١٠) ينظر:فكرة إعجاز القرآن، د. عمر ملا حويش، ٤٧٠، (بحث منشور).

(١١) ينظر: تاريخ إعجاز القرآن، عيسى بلاطة،٨

(١٢) ينظر: فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، ٥٠.

(١٣) طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، ١٣٢-١٣٣.

(١٤) ينظر: أبو زكريا الفراء و مذهبه في النحو واللغة، أحمد مكي الأنصاري، ٢٧٧.

(١٥) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي،د. عبد القادر حسين، ١٦٧

(١٦) الانعام: ١٣٠.

(١٧) الرحمن: ١٩.

(١٨) الرحمن: ٢٢.

(١٩) التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، د. سمير إبراهيم، ٤٢.

(٢٠) ينظر: البلاغة عند السكاكي، د. أحمد مطلوب، ٩٤.

(٢١) الصافات: ٦٥.

(٢٢) الديوان: ٦٢

(٢٣) ينظر: وفيات الأعيان، إبن خلكان، ٥/٢٣٦.

(٢٤) النقد و الإعجاز، د. محمد تحريشي، ٢٤.

(٢٥) النقد والإعجاز،د محمد تحريشي، ٢٥-٢٦.

(٢٦) علم المعاني بين النحو و البلاغة، ١٠٠.

(٢٧) أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، د. محمد كريم، ٤٦.

(٢٨) ينظر: كتب إعجاز القرآن، دراسة نقدية تقويمية، هناء عبد الرضا، ١٦. (اطروحة دكتوراه).

(٢٩) ينظر أثر القرآن في تطور النقد العربي،د. محمد زغلول سلام،٢٣٦-٢٣٧.

(٣٠) النكت في إعجاز القرآن " ضمن ثلاث رسائل "،٦٩.

(٣١) المصدر نفسه،٦٩.

(٣٢) ينظر:أثر القرآن في تطور النقد، د. محمد زغلول سلام،٢٣٥.

(٣٣) ينظر: في إعجاز القرآن الكريم، د. محمد بركات، ٥٥

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه، ٥٦.

(٣٥) البقرة: ٢٣.

(٣٦) النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل)، ٧٢.

(٣٧) ينظر: الإعجاز البلاغي، د. محمد محمد أبو موسى، ٨٩.

(٣٨) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٧٠ وما بعدها.

(٣٩) ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي، د. محمد زغلول سلام، ٢٣٦-٢٣٧، كتب إعجاز القرآن، دراسة نقدية تقويمية، ٧٤.

(٤٠) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل)، ٨٨ ، في إعجاز القرآن الكريم، د. محمد بركات، ٧٣.

(٤١) ينظر: كتب إعجاز القرآن دراسة نقدية تقويمية، ٢٠.

(٤٢) ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي،د. محمد كريم، ١٨٥.

(٤٣) ينظر: إعجاز القرآن في دراسة كاشفة، د. عبد الكريم الخطيب، ١٥٨-١٥٩.

(٤٤) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ١٩.

(٤٥) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٢٠.

(٤٦) الاسراء: ٨٨
(٤٧) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٢١.
(٤٨) ينظر: نظرية الإعجاز، د. أحمد سيد محمد عمار، ٨٢.
(٤٩) الروم: ٢-٣.
(٥٠) الفتح: ١٦
(٥١) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٢١.
(٥٢) البقرة: ٢٣.
(٥٣) ينظر: في إعجاز القرآن الكريم، د. محمد بركات، ١٠٢-١٠٣.
(٥٤) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٢١-٢٢.
(٥٥) المصدر نفسه، ٢٣ وما بعدهـا.
(٥٦) ينظر: إعجاز القرآن في دراسة كاشفة، ١٦٤/١.
(٥٧) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٢٤.
(٥٨) ينظر: في إعجاز القرآن، ١٠٥.
(٥٩) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٢٣.
(٦٠) المصدر نفسه، ٣٣ - ٣٤.
(٦١) النقد والإعجاز، د. محمد تحريشي،١٢٣
(٦٢) يوسف: ١٧
(٦٣) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، ٣٤-٣٧.
(٦٤) ينظر: قضية الإعجاز وأثرها في تدوين البلاغة، عبد العزيز عبد المعطي، ٣٩٨-٣٩٩.
(٦٥) التوبة: ٣٣
(٦٦) ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني،٣٣.
(٦٧) ينظر: كتب إعجاز القرآن، دراسة نقدية تقويمية، ٣٣.
(٦٨) إعجاز القرآن، الباقلاني، ٤٩.
(٦٩) العنكبوت: ٤٨.
(٧٠) ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، ٤٩.
(٧١) ينظر: كتب إعجاز القرآن دراسة نقدية تقويمية، ٣٤.
(٧٢) إعجاز القرآن، ٣٥.
(٧٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣٥.
(٧٤) ينظر: المصدر نفسه،٤١.
(٧٥) ينظر:إعجاز القرآن،٩٥.
(٧٦) ينظر: نظرية الإعجاز، د. أحمد سيد محمد عمار، ١٤٢.

(٧٧) ينظر: إعجاز القرآن،٦٥. وما بعدها.
(٧٨) ينظر: البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، علي عشري، ٥٤.
(٧٩) مفهوم الإعجاز،د. أحمد جمال العمري، ١٦٦.
(٨٠) المغني في أبواب العدل و التوحيد، ٣٧٨/١٦.
(٨١) المصدر نفسه،٣١٤/١٦.
(٨٢) المصدر نفسه، ٢٠٨/١٦-٢٠٩.
(٨٣) المصدر نفسه، ٢٠٣/١٦.
(٨٤) ينظر: كتب إعجاز القرآن دراسة نقدية تقويمية، ٤٥.
(٨٥) ينظر: إعجاز القرآن في دراسة كاشفة، د. عبد الكريم الخطيب، ٢١٥.
(٨٦) ينظر: مفهوم الإعجاز، د. أحمد جمال العمري، ١٦٩ - ١٧٠.
(٨٧) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني،د. محمد عبد المطلب، ٢٩.
(٨٨) ينظر: اللفظ و المعنى بين الأيديولوجيا والتأسيس، طارق النعمان، ٣٠٩، القراءة المعاصرة للبلاغة العربية، أيسر محمد، ٢٣. (أطروحة دكتوراه).
(٨٩) إعجاز القرآن، بين المعتزلة والأشاعرة، ٢٢٥.
(٩٠) المنحى الأعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، ٢٩٣.
(٩١) المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القران،٢٩٣.
(٩٢) الاسلوب في الإعجاز البلاغي، محمد كريم، ٢١٨. " أطروحة دكتوراه ".
(٩٣) ينظر: دلائل الأعجاز، الجرجاني، ٣٨٦-٣٨٧.
(٩٤) المصدر نفسه، ٣٨٧.
(٩٥) ينظر: تربية الذوق البلاغي عند عبد القادر الجرجاني، د. عبد العزيز عبد المعطي، ٣١٩.
(٩٦) ينظر: دلائل الإعجاز، ٣٩٠.
(٩٧) ينظر: عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده،٢٦٠.
(٩٨) عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية،٧٩.
(٩٩) دلائل الإعجاز، ٣٩١-٣٩٢.
(١٠٠) الأسلوب في الإعجاز البلاغي، ٢١٤.
(١٠١) ينظر: إعجاز القرآن في دراسة كاشفة، د. عبد الكريم الخطيب، ٢٤٧ - ٢٤٨.
(١٠٢) ينظر: اللفظ و المعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، الأخضر جميعي، ١٩٢-١٩٣.
(١٠٣) ينظر: اللفظ و المعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب،١٩٣، الصورة البلاغية عند عبد القاهر، د. أحمد علي الدهمان، ٢٢٠، كتب إعجاز القرآن دراسة نقدية تقويمية، ٦٠.
(١٠٤) ينظر: فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، ٨٩.
(١٠٥) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن، ١٤٠ وما بعدها.